هنا نشأت طائفة جديدة — أعنى جماعة الذريين — وجاهروا برأى جديد يلائم هذا المرتقى الذى خلفه هرقليطس ، هم يقررون معه أن ليس هناك موجود ثابت اذا نظرنا الى الكون من وجهة الشكل والصورة ، ولكن الثبات والخلود فى كمية المادة التى يغص بها الكون ، فثمت عدد لايحده الحصر من العوالم ، تتكون جميعها من ذرات متشابهة ، ولكنها تكون بعد تركيبها كائنات متباينة ، كما تتألف الكتب المختلفة من حروف هجائية بعينها ، ومع ذلك فليست هى بالمتشابهة . هذه الذرات لا تفتأ تجتمع فتكون هذا الجسم أو ذاك ، ثم تنحل وتأتلف فى أسلوب جديد فتحدث كائنا جديدا على هذا الاساس يمكنك أن تدرك معنى التغير والحدوث فى الصورة والثبات والخلود فى المادة . وبناء على هذا يكون كل شىء فى الوجود مؤلفا من ذرات مادية ، حتى الروح الذى يدب فى الأحياء . فهو عندهم مكون من ذرات دقيقة غاية الدقة ، مستديرة أو قريبة من المستديرة . وليست عملية التنفس الا اكتسابا لذرات جديدة من نوعها تسبح فى الفضاء . ولما كانت هذه الذرات منبثة فى أنحاء الكون ، فليس من شك فى أن الحياة تدب فى الكائنات جميعا

بدأت الفلسفة إذن بالبحث عن المادة الأولى التى تتألف منها الأشياء جميعا ، ثم ادركت أن للوجود جوهراً وراء المادة ، فالتمسه الفيثاغوريون فى الواحد الحسابى ، ثم التمسه من جاء بعد الفيثاغوريين من فلاسفة أيونيا (جنوبى ايطاليا) فى الاله الذى خلق الكائنات ، ثم انكرت الكائنات وبقى الله وحده موجوداً لا وجود لسواه ، ثم حام الشك حول ثبات الكون على صورة واحدة ، وأخيرا قرر الذريون أن الكون متغير فى صورته ، خالد فى مادته . . .

تطور سريع فى الفكر كما ترى ، أسلم العقل الى حال من الارتياب والشك ، أرجو أن أحدثك عنها فى فصل تال .

زكى نجيب محمود

معهـــد الطفيليات

للدكتور محمد عوض محمد

. . . سار بى (الأستاذ) سيرا حثيثا ، ليطلعنى على ما اشتملت عليه تلك الجامعة الهائلة من دور ومن فصول ، ومن مدارس ومعاهد ، فلم نزل ننتقل من بناء شامخ إلى قصر مشيد ، إلى أفنية فسيحة ، إلى مغان ذات طباق بعضها فوق بعض . . .

ثم وقف بى امام دار ضخمة ضخمة ذات صروح وأبراج ، ولها باب عظيم ذو عمد من الرخام وسلالم من المرمر الأملس . وقد انفتح المصراعان ، وبدا لناعن ورائهما دهليز كبير تحف به عمد رفيعة موشاة بالذهب والأحجار الكريمة ؛ ومن فوقها سقف مزين بأبدع النقوش وأبهى الالوان

فقال صاحبى : « الآن أريك أجل شىء فى هذه الجامعة الجليلة ، إن هذا البناء العظيم الذى تراه أمامك هو « معهد الطفيليات » . قد عنيت الجامعة بتشييده واعداده ، ولم تأل جهداً ولا مالا فى زخرفته وتأثيثه ، ليكون منه مرتع خصيب للطفيليات : تمرح فيه ماشاء لها المرح ، وتنعم فيه بكل ما تشتهيه نفوسها التى لا يرضيها القليل ، ولا تقنع إلا بالغالى النفيس

« وسأمضى بك الآن إلى المتحف العظيم ، الذى حشدنا فيه ما استطعنا حشده من طفيليات هذه الأرض ؛ وما أحسب أن لجامعة من الجامعات متحفاً كهذا المتحف ، شاملا لما اشتمل عليه من طفيليات عزيزة نادرة به ، حقيقة أننا لم نستطع أن نجمع هنا كل ما فى الارض من هذه الكائنات ! انه هذا مرام بعيد . ومن ذا الذى يستطيع للطفيليات عدا . فضلا عن جمعها . وإيوائها ، وتربيتها ، وتغذيتها ، وتأديبها ؟ لكنا نستطيع أن نفتخر — بحمد الله — أن ليس فى القارات كلها جامعة بها من الطفيليات ما بجامعتنا هذه

« فلنمش الآن بين هذه الصناديق الزجاجية . وليكن سيرنا غاية فى الهدوء والتؤدة . فأن هذه الطفيليات رقيقة المزاج جدا . فلا تكاد خطرات النسيم تجرح خديها فحسب ، بل تقتلها قتلا . وهى علينا جد عزيزة . ويجب أن نحرص عليها غاية الحرص ، فامش إذن برفق لكيلا يسمع لنعليك صوت ، ولكيلا ترتج لوقع أقدامنا هذه

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير اجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشا فى البلدان الأخرى

المنازل البديعة التي آوت اليها الطفيليات .

« والآن فلا شرح ما أغلق عليك من أمر هذه الكائنات ! إنك يا صديق من الأدباء . ولديكم في الأدب طائفة أظنك تعلم من أمرها ما أعلم — من كل كويتب أو شويعر . عاجز كل العجز عن أن يخرج من صدره أو قلبه أو رأسه رأيا أو خاطرة أو فكرة . يفتش في نفسه فيلقاها خلاء يلقعا قفراً . فيعمد الى دواوين القدماء وكتبهم ، يستخرج منها القصيدة أو الرسالة ، ولا يزال بها يحاكيها ويقلدها ، ويحذف لفظا ويضيف لفظا ، حتى يتم له مسخها وتشويهها ثم يلصق في أخرها اسمه الكريم فاذا به قد أصبح ذا شأن وخطر ، واذا النوادي تتحدث بأمره . والصحف تنوه باسمه ، والمحافل تتلقاه بالاكرام والترحيب ، واذا صورته الفخمة تطالعك من صدر كل صحيفة سيارة وغير سيارة لتنبئك ، وتنبيء الجاهلين أن قد نبغ في هذا الزمان الأخير أديب خطير ، وشاعر كبير !

« ونحن يا صديق في عصر قد علا فيه كعب هؤلاء وعظمت دولتهم ، وقويت شوكتهم . ولا تحسب أنهم وقف عليكم أهل مصر بل ان لدينا منهم في مملكتنا هذه خلقا كثيرا . وفي وسعك أن تقسمهم الى قسمين عظيمين : الأول طائفة الطفيليات القومية أو الوطنية وهم الذين يعيشون متطفلين على قومهم العرب مثلا وأمتهم العربية . غذاؤهم وحياتهم مما يمتصونه أو يبلعونه أو يمسخونه من شعر القدماء ورسائلهم . ناهيك أن في أدبكم العربي أسفارا لا تزال مودعة في خزائن مظلمة في دور الكتب : مغطوطة لا يصل اليها الا الباحث الجليد . . . وما أولع الطفيليين بالبحث والتنقيب ، وما أشد صبرهم وجلدهم ! فهم يجدون في هذه الأسفار المنسية ضالتهم ، ويصيبون منها الغذاء الذي يكسبهم الشهرة والعظمة . ومنهم من لا يكلف نفسه عناء البحث في خزائن الكتب ، بل يعمد الى الشائع المتداول من كتب القدماء والمحدثين ، فلا يزال بها يحولها ويحورها ، ويربعها ويدورها ، حتى يرى فيها الطعام شيئا مخترعا ، وأدبا مبتدعا . . . ولعل هذا الطراز أسرع من الأول وأقدر ، لانه يعتمد على مقدرته الهائلة في المسخ والتشويه ، بينما الأول يعتمد — قبل كل شيء — على بحثه وتنقيبه عن المجهول من الكتب ، والخفي المستور من كنوز الأدب .

« تلك إذن طائفة الطفيليات القومية . تعتمد كما ترى على تراث قومها . أما الطائفة الثانية فهي جماعة الطفيليات الغربية ؛ تنعتها بهذا الاسم لا لأنها جاءت من الغرب . بل لأنها تتغذى من الثمار الغربية . وتعيش على أجساد الكتاب من أهل الغرب والكاتبات ، الأحياء منهم والأموات .

« وهذه الطائفة قد استفحل أمرها ، واشتد بأسها ، منذ انتشر في بلادكم تعليم اللغات الغربية ، فوجدت أمامها أودية خصبة ومروجا ممرعة ، لا يكاد الطرف أن يدرك مداها . فأقبلت عليها في شره لا يعرف شبعا ، ونهم لا يعرف حدا . إذ رأت أن المجد الأدبي قد دنت قطوفه ، وسهل تناوله . . . فجعلت تجني من ثمار الغرب ما شاءت وشاء لها الجشع ؛ ثم مسخته قليلا أو كثيرا ، ثم جلته للعيون الشرقية ، على انه من ثمارها ومن نتاج روحها . فأكبر الناس تلك الثمار ، وسبحوا بحمد تلك الطائفة . ورفعوها على الاعناق ، وبوءوها مقاعد السيادة في الآداب أو في العلوم . . . »

عند ذلك قاطعت الأستاذ ، وقد تملكني الضجر ، وقلت :

« أعن هؤلاء تريد أن تحدثني ؟ وهل هؤلاء هم الذين أودعتموهم في معهدكم هذا ؟ اللهم إني لفي غنى عن رؤية أمثال هؤلاء ، وما جئت سائحا في بلادكم العظيمة ، لكي تطلعني على تلك المناظر التي طالما أقذت عيني وأحرجت صدري ! »

قال : « لا تخف ! فهيهات أن تجد مكانا في معهدنا هذا — على ضخامته وسعته لكل تلك الطوائف ! كلا يا صديق ! وما ذكرت لك أمر هؤلاء الا لانك ممن يعنون بالأدب . ولاني أريد أن أفهم عنى أمر الطفيليات التي حشدناها هنا ! فأردت تقريب الأمر الى ذهنك متنقلا بك مما تعرف إلى ما لا تعرف !

« وخلاصة الحديث يا صديق ، ان الطفيليات هذه هي كائنات — أجل وإني لمضطر لأن أدعوها كائنات — لا تستطيع أن تحيا وان تعيش من نفسها ومن جهودها . بل لابد لها من كائن آخر ، تستمد حياتها من حياته ، وكثيرا ما تكون حياتها سببا في فنائه . وهي على كل حال لابد لها من أن تضعف الجسم الذي يمدها بالحياة حتى تورده موارد الدمار . . . »

« هذه الكائنات لا تكد ولا تكدح في طلب الرزق ، بل تدع السعي والطلب إلى غيرها ، وليس لها أسنان تمضغ ، أو معدة تهضم ، أو أجهزة تحيل الطعام الخشن والشراب ، الى غذاء وحياة ، بل تبقى كامنة في الاجسام الحية ، ثم تنتظر حتى تكد هذه وتعمل ، وتجمع الرزق من نواح شتى ، وحتى تتناول طعامه وتهضمه

وتمثله ، وتحيل الى تلك العناصر التى ثوت فيها القوة والحياة ، عندئذ تبادر الطفيليات ، فتمتص منها الحياة والغذاء ، من غير جهد ولا عناء . . هذه الطفيليات لا تحسن عملا ، ولا تجيد صنع شيء ؛ اللهم الا شيئا واحداً ، هو : الالتهام »

« تأمل قليلا فى هذا الكائن البديع ، القرمزى اللون ! إنه لا يعيش إلا فى الشرايين ، لا يحلو له أن يتناول الا الدم الطاهر الزكى يستقيه سائغا شهيا حين يقذفه القلب الى كل شريان . . وهذه صورة رجل قد حلت بجسده هذه الكائنات ! ان وجهه الشاحب قد علته صفرة الموت . وعينيه الغائرتين لا تجدان ما يتهما من الدم المغذى . وعلى عظامه الناتئة جلد رقيق ، يوشك أن يكون شفافا . . إن حياة مثل هذا لن تطول . فان هذا الضرب من الطفيليات من أقتلها وأفتكها بمن يعيش فى جسده

* **

« انتقل بنا الآن إلى هذا الكائن الأبيض المتفخ ! إن خطبه أيسر من خطب الاول . ودأبه أن يعيش وسط الدسم والشحم . فهو لا يسكن من الجسم الا حيث الدهن متراكم متكدس . فاذا رأيت من بنى آدم من أضخمته النعمة ، وأشحمه الغنى ، فأن هذا الشق لن يلبث طويلا حتى تألب عليه هذه الكائنات الشرهة ، ترتع فى نعمته ، وتمرح فى شحمه ودهنه ، وما تزال مكبة عليه تمتص منه وتلتهم ، حتى تذره نحيلا هزيلا . قد وهى عظمه ، ورق جسمه حتى لم تبق منه الا بقية ضئيلة ، لا تلبث أن تذهب ، فيهلك الجسم وتهلك معه تلك الطفيليات .

« وأظنك تشاطرنى الرأى ان ليس بمستغرب ان تجتمع الطفيليات على مثل هذا المخلوق السمين ، حيث المرعى الخصيب ، والخير الوفير ، والنعمة السابغة ...

« ولكن ما بال هذه الطائفة — التى تراها عن يمينك — قد تألبت على غير ذى دسم ، وتجمعت على غير ذى نعمة ، ولا يحلو لها ان تمتص الحياة والرخاء الا من كل بائس شقى ، قد عضه الفقر من جانب . والجوع من جانب ، ممن يقضى حياته فى كد وكدح ، من أجل اليسير من الزاد ، والزهيد من القوت ، لا يكاد يصل اليه إلا باهراق عرق الجبين ، وبذل الجهد الجهيد ، وايراد الروح موارد العذاب : ثم يغدو المسكين واذا قوته ودمه يذهبان غذاء سائغا شهيا لهذه الطوائف النهمة من الديدان الملتوية !

« ومن عجب أن ليس فى الطفيليات كلها ما هو أشد نهما وأكثر شراهة من هذه الكائنات ، التى تعيش وسط الفقر المدقع ، فتراها غنية وسط الفاقة ، سعيدة وسط الشقاء ، مدلة بنفسها عزا وكبرا برغم ما يحيط بها من الذل والضعة ، وهى الى هذا كله قصيرة النظر ، لا تكاد ان ترى شيئا ، لأنها لو استطاعت ان تبصر لعلمت ان ليس فى عيشها ذاك ما يبعث الكبر والغرور ، ولأدركت حقارة شأنها بين الكائنات .

* **

والآن أنتقل بك الى هذه المجموعة الفريدة ؛ إنها ستبدو لك لأول نظرة كأنها ديدان لما بها من الالتواء والانحناء ؛ لكنها فى الحق ليست بديدان ، بل حشرات طفيلية جميلة الصورة ، حسنة الهندام ؛ أما هذا الالتواء والانحناء ، فراجع الى طبع غريب مغروس فى نفوسها ، ذلك أنها مولعة أبدا بالركوع حينا والسجود حينا ؛ مغرمة بتمريغ الجبين فى مواطىء النعال . فهى تبدى للجسم الذى تمتص خيره وبره عبودية وخضوعا . وتملقه تملقا بديعا . وما تنفك تهتف باسمه ، وتسبح بحمده : ولا يحلو لها الزاد الذى تمتصه وتغتذى منه ، ما لم يصحبه كل هذا الركوع والسجود ، والملق والخنوع . . . وهـــذه الحشرات لا تعيش إلا فى الجسم القوى ذى البأس الشديد ، والعزة والجبروت . ولقد يحلو لهذا الجسم أن يؤدى هذه الحشرات ، وأن تمتص من خيره ومن رحيقه ، لأنه يعجبه منها هذا الخضوع الظريف ، وهذا الملق الساحر . وهذا الركوع الدائم والسجود . ولا يرى على نفسه بعد ذلك بأسا فى أن تأكل هذه الحشرات من مخه ومن دمه ، ومن لحمه ومن عظمه . لأنه قوى مدل بقوته ، بئيس مفاخر بأسه ، يظن أن كنز قوته لن تنفد مهما كبر ذلك الجيش الجرار من الحشرات . فتراه يستكثر منها ويستزيد ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

« ومن عجب أن هذه الحشرات قد تحل بها حشرات أخرى أحقر منها ، لكى تعبدها وتتزلف اليها ، وتمتص خيرها ؛ وهذه أيضا على حقارتها تنمو حولها طائفة أخرى أحقر منها ، وهلم جرا ، ولن تستطيع أن ترى هذا كله بالعين العادية ، بل لا بد لك من التحديق فى المجهر : أنظر ها هنا ! وأمعن فى التحديق حتى تعتاد عينك رؤية هذا العالم الطفيلى المدهش ! أرأيت كيف تتابعت هذه الكائنات تتابعا مطردا : من الكائن الاكبر إلى الأصغر فالأصغر

حتى تبلغ إلى الحقير التافه الذى لا تكاد تراه حتى بالمجهر !

« وبرغم ما تراه فى هذا الجيش العرمرم من مظاهر القوة والنشاط ، والحركة الدائمة ، فان هذا مظهر خداع ولا بد أن يدركه الفناء فى لمحة الطرف . ولا بد للسكين من يوم تدول فيه دولته وتذهب ريحه ، وينظر فاذا قوته قد فنيت وبأسه قد زال واذا هو صريع وسط تلك الجيوش الجرارة من الطفيليات التى أفنته وأفناها ، وأهلكته وأهلكها . »

* * *

والتفت (الاستاذ) إلى ، فرأى الدم يتصاعد الى وجهى ، فقال : « أحسبك قد نال منك التعب ، ولاجرم فأن عالم الطفيليات عالم عظيم جسيم . ولكن لن تبرح حتى ترى هذه الحشرات السوداء التى لا تعيش الا على جثث الموتى . وتخشى الأحياء وترهبهم . ألا تراها تذكرك بأصحابك الذين يغيرون على شعر القدماء ، وأدب القدماء . ولا حياة لامثال هؤلاء الا بما يدره أولئك الموتى !

والآن تأمل هذه الكائنات الدميمة التى تراها عن يسارك ! وقل لى هل رأيت فى حياتك أشد منها دمامة ، وأقبح منها منظرا ؟ وهى مع ذلك لا تعيش إلا حيث يوجد الحسن والبهاء ! ولا تحيا إلا على كل من رزق الوسامة والقسامة ، وضرب فى الجمال بسهم ، وحيثما رأيت الشباب الغض والحسن الباهر تر هذه الكائنات الدنسة . قد تراكمت من حوله وتألبت عليه . . . لكن أراك قد تصاعد الدم الى وجهك ، واحمرت عيناك ، وانتفخت أوداجك ، فهل تحس ألماً أو دوارا ، أو ترانى قد أتعبتك بكل هذا الشرح الطويل ؟ »

قلت : « ليس ما أحسه الآن تعبا أو ألما ، ولكنه الغيظ قد استولى على وأخذ يحرق صدرى ، ويوقد النار فى دمى ، ويودى لو تناولت عالمك هذا كله بالتحطيم والتدمير ، فلا أدع فيه دودة ولا حشرة ، قائمة أو قاعدة ، راكعة أو ساجدة ! »

قال : « من حسن الحظ أنا تركنا عصينا بالباب ، فهلم بنا لنخرج من هنا ، قبل أن يذهب بك الجهل مذاهب الطيش والزلق فان هذه الطفيليات أعز على الدهر من أن تعرضها لسخط الحق ، الذين لا يعرفون مالها من المنزلة الفريدة والمكانة العزيزة فى نظام هذا الكون الأبدى . »

ثم انطلقنا ، وصاحبى يبتسم ، وأنا أكاد أتميز من الغيظ .

محمد عوض محمد

٢٠٤٧

التعاون فى التأمين على الحياة

يعمل الرجل وهو فى مقتبل الشباب متمتعاً بصحة وقوة ، ويخيل اليه ان الدهر سيظل له على الدوام مسالما ، فيسرف فى انفاق كسبه غافلا عما يكنه المستقبل فى طياته من المفاجآت . فاذا لم يعترضه مرض او حادث يعجزه عن العمل والكسب ، فأنه قلما يسلم من الخضوع لسلطان الطبيعة البشرية وسحرها ، تجتذب حواسه وتأسر لبه حتى تسوقه طوعا الى شريكة فى الحياة ؛ يرزقه الله منها الأبناء ، فيشعر فى اعماق قلبه بذلك الشعور الذى لا يدرك كنهه سوى الزوج المخلص والوالد الرحيم ، وهذا الشعور ينطوى على رغبة صادقة فى ان يهيىء لهم اسباب السعادة فى ظل حياته ؛ ويعد الوسائل التى تسهل لهم سبل العيش بعد مماته .

ولا تقف مسئولية الرجل العائلية عند حد الزوج والابناء ، بل قد تتناول ابويه والقاصرين من أخوته المحتاجين لمساعدته ، فأن حق عليه ان يكفل زوجه وابناءه بعين رعايته ، فان من واجبه الشرعى والاجتماعى ان يشمل أبويه بعطفه وحنانه . فان فعل فانما يسدد دينا عليه . فقد ضحيا من أجله راحتيهما وماليهما فى سبيل تربيته وتعليمه حتى بلغا به طريق الرزق — وقد يكونان ذهبا فى التضحية الى حد نفاد مواردهما — فحق لهما ان يجنيا ثمار تضحيتهما بمساعدته لهما فى شيخوختهما .

وخلاصة القول ان الرجل فى هذه الحياة مسئول عن سعادة أبويه وأخوته ، كما انه مسئول عن هناء زوجه وابنائه . فأن كانت عائلته تعيش من كده وجهاده ، فهو بمثابة رأس مال لها . يقف رأس المال العائلى هذا عن الانتاج اذا اناب الرجل العامل المرض او اعترضه العطل ، ويفقد مقدرته الانتاجية اذا أقعده العجز أو الشيخوخة عن العمل ، ويفنى اذا وافاه الاجل ؛ فالرجل المتزن العاقل هو الذى يتبصر فى عواقب الامور ، ويتسلح لطوارىء فيعمل على تهيئة أسباب السعادة لعائلته فى مختلف أطوار الحياة ، بأن يستجمع فى شبابه من المال ما ينعم به فى شيخوخته ، وما يتركه لذويه يستعينون به على صروف الدهر بعد وفاته . وقد يبتدىء فعلا بتدبير المال عن طريق الادخار . فأن عاجلته المنية قبل أن يكون لعائلته المال الذى يعيشون منه فانه يتركهم عرضة للتسول